المفكر العربي

في سبيل

الحركة العربية الثورية الشاملة

تأليف
ناجي علوش

دار الطليعة - للطباعة والنشر

في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة

الطبعة الأولى
تشرين الاول ، ١٩٦٣

ناجي علوش

في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة

منشورات دار الطليعة - بيروت

مقدمة

بدأ هذا الكراس مقالة ... ولكنه طال .

وكنت أود أن أنشره في الصحف ولكن نشره في «البعث» دون « الحرية » مثلاً يجعله ممثلاً لوجهة نظر واحدة في نظر القراء المتحزبين الذين لا يقرأون ... وسيكون الحال نفس الحال لو نشر في « الحرية » دون « البعث » .

ولذلك ، وحرصاً على ما يهدف إليه هذا البحث قررت أن أنشره في كراس مستقل .

١٩٦٣/٩/٨ المؤلف

تمهيد

أود أن ألفت النظر الى حقيقتين :

الأولى : وهي أن ذكر الحزب والحزبيـة لا يعني إشارة الى البعث العربي الاشتراكي ، فالمقصود هو الحزبية الثورية عموماً . كما أنّ الدراسة لا تهدف الى المفـاضلة بين حزب البعث وثورة مصر بل تهدف الى إيضاح طبيعة هاتين التجربتين . وتجـارب النضال العربي الأخرى وانعكاس تكوينها على مواقفها في هـذه المرحلة .

الثانية : إن الآراء الواردة في هـذه الدراسة ، هي جزء من نظرة شاملة ، لتجارب النضال العربي ، أوضحتهـا في كتـابي « الثورة والجماهير » وإنني أحتفظ بموقفي من حزب البعث ومن ثورة مصر ومن تجـارب النضال الأخرى كما جـاء في هذا الكتاب ... وهو موقف يتلخص في اعتبار ثورة مصر وحزب البعث العربي الاشتراكي « تجربتين مرحليتين » في طريق الثورة العربيـة الشاملة . وأنهما تحويان الكثير من التناقضات وتمثلان

« البرجوازية الصغيرة » فكراً وتنظيماً . ولذلك فهما مرحلة تقدمية في التطور العربي الحديث ... وان انفتاحهما واستجابتهما لظروف التطور هو مقياس استمرار تقدميتهما حتى تسلم الفلاحون والعمال زمام قيادة الثورة ، فينتهي دور « البرجوازية الصغيرة » ذات التفكير الوَسَطي .

في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة

بدأت مع ميـــلاد ميثاق القاهرة معركة في الوطن العربي ، أبعد أثراً وأكثر خطراً من كل المعارك التي خاضها الشعب العربي في تاريخه الحديث . وتنبع خطورة هـــذه المعركة من بديهيات ثلاث :

الأولى : ضرورة وحـدة الحركة القومية لتحقيق وحـــدة النضال العربي وهذا يعني بالضرورة ، تفاعل الحركات القوميـة الاشتراكية والتزامها بميثاق قومي اشتراكي .

فالحركة القومية في الواقع مجموعـــة من الاحزاب والمنظمات السياسية ، ذات التجارب المختلفة ، وبوحدتها في العمل تتحقق وحـــدة النضال العربي فقط وتستطيع ان تجابـــه الرجعية والاستعمار والصهيونية .

الثانية : ان وحدة الحركة القومية ممكنة ، وليس هنالك تناقضات اقتصادية اجتماعية بـين الاحزاب والمنظمات القومية الاشتراكية تجعل هذا الصراع تاريخياً لا بد منه .

الثالثة : ان انقسام الحركة القومية واصطراع قواها يقسم الجماهير العربية ويهدد امكانياتها ويشل فعالياتها .

فما هي أسباب هذا الصراع ؟

وكيف نستطيع ان نتجاوزه ؟

أسباب هذا الصراع هي :

أولاً — عدم وضوح المنهج العقائدي لدى هـذه الحركات جميعاً . وعدم وضوح المنهج يجعل كل حركة غير قادرة على فهم الحركة ووعي متطلباتها ، مما يؤدي الى رفع شعارات غير ملائمة وانتهاج سبل خاطئة .

ولقد حاول عبد الناصر في الميثاق ان يقدم منهجاً ثورياً ، وان يجعل من هذا المنهج دليلاً . ولكن هذا المنهج رفع شعار وحدة الحركة القومية عند اعلانه دون ان يبين ضروراتها ؛ مع ان هذا كان ضرورياً في حينه . كما ان الميثاق لم يحدد موقفاً من الاحزاب والمنظمات القومية وتكويناتها وشعاراتها . وكان هذا ضرورياً أيضاً . ثم ان العمل كان أكثر أهمية من رفع الشعار ، ولكن الشعار رُفع دون ان يصحب رَفْعَه عمل من اجل تحقيقه .

ولهذا جاءت سياسة الجمهورية العربية المتحدة سلسلة من الانفعالات وردود الافعال في هذا المجال .

ولم يكن لاية حركة أخرى منهج يلزمها بعمل موحد ، أو يجعلها قادرة على الالتزام بسياسة موضوعية واعية ، تضمن قيام الحركة العربية الثورية الشاملة[1] .

---

١ ـ رفع البعثيون شعار وحدة القيادات الثورية منذ سنة ١٩٥٦ .

ثانياً – الظروف الخاصة .. فقد نشأت هذه المنظمات والاحزاب كل في مناخها الخاص . فتجربة عبد الناصر شعبية بدأت في صفوف عدد محدود من الضباط ولم تبلغ حتى الآن مرحلة التنظيم الثوري . وتجربة البعث شعبية بدأت في صفوف البرجوازية الصغيرة مثقفين وعسكريين ... ولكنها امتدت وانتشرت حتى اصبحت قادرة على ان تقوم بدور رئيسي في مقاومة الاستعمار والرجعية ما بين سنة ٥٤ و ٥٨ . كما انها كانت قادرة على ان تنهي النظام الفردي الشعوبي في العراق ...

إن الظروف الخاصة بتجربة البعث جعلت من البعث حزباً بينما جعلت ظروف ثورة مصر الخاصة ، هذه الثورة « فئة » تتجه الى « اوسع الجماهير » .

وما زالت ثورة الجزائر مترددة بين الشكلين ، وان كانت تجنح للسير في خط الحزب .

إن المناخ الخاص الذي نشأت فيه كل من هذه الثورات فرض عليها طابعه وجعلها غير قادرة على ان تعي الظروف الموضوعية للتجارب الأخرى . فالثورة في مصر تحارب الحزبية ، كل شكل من أشكال الحزبية ، لاسباب مختلفة ، منها ان الحزب « قلة » ؛ ومنها ان الاحزاب تمثل مصالح فلا بد من أن تتصارع اذن وتمزق قوى الجماهير ... وحزب البعث العربي الاشتراكي يرفض الشكل التنظيمي للثورة في مصر ويعتبر الاتحاد الاشتراكي تجميعاً ولمة . ولم نقرأ حتى الآن دراسة تبحث مسألة اختلاف النشأة هذه ، وأثرها في تكوين الأفكار السياسية

والمنظمات الشعبية . مع أن دراسة من هـذا النوع تزيل الكثير من أسباب الالتباس، وتكون عاملاً من عوامل التفاهم والتفاعل.

ثالثاً – مسألة القيادة ... إن كل حزب أو منظمة سياسية تؤمن أنها طليعة الشعب وأنهـا قيادته فكيف يمكن أن توحد منظمات سياسية متعددة في حركة قومية واحدة ؟.. إن إصرار أيّ منظمة على فرض تجربتها الخاصة ، سوف لا يجعل قيـام الحركة القومية الواحـدة مستحيلاً فحسب بل سيمزق القوى الجماهيرية وسيفرض على كل من هذه المنظمات الانغلاق على نفسها والانطواء على تجربتها ... وهذا يعني موتهـا واندثارها ... ثم ان وحدة الحركة القومية يجب أن تقوم على أساس راسخ فـلا تتدخل المطامح السياسية في تحديد دور كل منظمة. إن المنظمات الصغيرة تطمح عادة للقيام بدور كبير . وفي هـذا الخطر كل الخطر . لأن مطامح المنظمات الصغيرة لا تعرقل قيـام وحدة الحركة القومية فقط ، بـل تشحن الجو بعداوات ومزايدات ، تسبب البلبلة والفوضى ، وتدفع الجماهير الى اليأس أو التحزب .

يجب أن تقوم وحدة الحركة القوميـة على أساس اعتبـار الاتحـاد الاشتراكي العربي ، وحزب البعث العـربي الاشتراكي وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية الدعـائم الأساسية للحركة القومية . ويجب أن تهيىء هذه المنظمات جو تفاعل سليم، يضمن انبثاق تجربة جديدة أكمل فكراً وتنظيماً من التجارب السابقة.

ولقد قال عبد الناصر هـذا جيداً ... جـاء في الميثاق : « كذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجـال

التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية في العالم العربي .

إنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكرياً من أجل التجربة المشتركة .

لكنها في نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم » [1] .

إلا أن الجمهورية العربية لم تحقق شيئاً مما ذكرنا ، إذ أنها رفعت الشعار مع إعلان الميثاق ، دون أن تعمل على تحقيقه ، فتهيىء مجال التعاون والتفاعل .

ورفعته من جديد في ٢٢ تموز من هذا العام ، لتحقق به فيما تحقق ، عزل حزب البعث ..

رابعاً ـ التكوين الاجتماعي والنفسي . إن تكوين المنظمات الاجتماعي والنفسي هو الذي يحدد إيدولوجيتها: فما هو التكوين الاجتماعي والنفسي للمنظمات القومية ..؟

هنالك ملاحظات ثلاث :

الأولى ـ إن المنظمات القومية تقودها البرجوازية الصغيرة وتدعمها جماهير الفلاحين والعمال ، وإن كان هنالك تفاوت بين كل منظمة وأخرى من حيث التركيب الاجتماعي. فحركة البعث تقودها البرجوازية الصغيرة الأقرب الى الشعب ، بينما تقود الثورة في مصر برجوازية المدينة المنعزلة عن الجماهير .

وبينما لا تفرق الثورة في مصر وحركة القوميين العرب بين

---

١ ــ الميثاق : ١٠٧ ـ ١١٣ الوحدة العربية .

انسان وآخر مـــا دام كل منهما يحمل نفس الشعار فإن حركة البعث وجبهة التحرير الجزائرية تفرقان بين ابن الإقطاعي وابن العامل، بين ابن التاجر وابن الفلاح... على أساس مقدرة كل منهما على استيعاب الأفكار الثوريـــة . وعليه تجد أبنـــاء التجار والاقطاعيين يتجهون الى حركة القوميين العرب، ولا يتجهون إلى حزب البعث ، ويؤيدون الثورة في مصر ، ويقـــاومون الثورة الجزائرية [1] .

الثانية ـ إن المنظمات القومية مـــا زالت ترفع شعارات البرجوازيـــة الصغيرة ... فهي حريصة على الملكية الخـــاصة والإرث والدين ...

وهي تنـــادي بالاشتراكية وبتحرير الفلاحـين والعمال ، ولكنها على الأكثر تحرص على رفاهية المدينـــة ، وحرصها على رفاهية المدينة ناتج عن كون القيادات في هذه المنظمات عنـاصر مدنية .

ولذلك ، ليس هنـالك خلافات جوهريـــة في الشعارات والمبادىء .

الثالثة ـ تمـارس البرجوازية الصغيرة والعمال فعالياتها كاملة في حزب البعث العربي الاشتراكي ، لأن مبـــادىء التنظـيم في الحزب تجعل الأعضاء جميعاً متساوين لا فرق بين عضو وآخر إلا

---

١ ـ سيحارب هؤلاء الثورة في المستقبل وستزداد مقـــاومتهم كلما ازداد دور الفلاحين والعمال .

بمقدار ما يبذل من النشاط ، ولهذا ليس للقيادات سيادة بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة . بينما تمارس القيادة في الجمهورية العربية المتحدة شكلاً من السيادة البرجوازية، لأنها غير منبعثة من تنظيم جماهيري ، وغير خاضعة لرقابة تنظيم . ولن يغير قيام الاتحاد الاشتراكي من الوضع كثيراً في الوقت الحاضر ، لأن البرجوازية الحاكمة ستتحكم به ، حتى تنضج قواعده الفلاحية والعمالية بعد حين ، فتدخل معها في الصراع الذي لا بد منه . وسيفيد دخول عناصر ماركسية الى الاتحاد في إنضاج قواعده الفلاحية والعمالية وكشف العناصر البرجوازية الانتهازية فيه .

خامساً ـ دور القائد ... إن البرجوازية الصغيرة الفردية بتفكيرها ، التي تصر على تكريس النزعات الفردية ، هي التي تلد الأبطال وتقدسهم . لذلك نجد في تجارب التحرر القومي الكثير من الأبطال . إلا أن البرجوازية الصغيرة ذاتها تدعو للعمل الجماعي. وهنا تقع في تناقض . ولهذا وجدنا حزب البعث ذاته الذي يمثل تجربة جماعية ، يمجّد « الابطال » بعض الأحيان ويخلق منهم « أساطير » شعبية . هذا كان موقفه من عبد الناصر ما بين سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٨ وهذا موقفه من أحمد بن بلا . ولكن الفئات الأكثر فردية من البرجوازية ، والتي تمتاز بالسطحية تندفع كثيراً وراء أسطورة البطل لأنها تمثل « الذوات » الضعيفة الطامحة للعظمة . ولهذا نجد الموظفين من بقايا عهد فاروق ، و « مناضلي » العهد الجديد في مصر ، من الذين لا يعون بالضبط معنى التجربة الشعبية ، يصرون على دور

البطل ، كما اننا نجد الجماهير الشعبية التي لم تتخلص حتى الآن من التعلق بأساطير الابطال مثل عنترة وابي زيد الهلالي ، والتي لم تشترك اشتراكاً فعالاً في النضال المنظم ، ولم تع معنى تجربة الثورة تندفع وراء اسطورة البطل أيضاً . إن أسطورة البطل جزء من ظاهرة التحرر القومي ، وهي وان كانت تمثل الفردية وضعف دور الجماهير ، فإنها يجب أن تفهم ضمن ظروفها التاريخية . وعلى الحركات القومية ان تعمل من أجل التخلص من هذه الاسطورة ، بتثقيف الجماهير وتنظيمها ، وتعريفها بدورها التاريخي ، لا بالرفض السلبي الذي يلغي أدوار الابطال والجماهير المتعاطفة معهم ، المندفعة وراءهم في هذه المرحلة الحاسمة .

سادساً ـ مشكلة جهاز الحكم... بين أجهزة الحكم والمنظمات الشعبية الثورية عداء مستحكم .. ذلك ان أجهزة الحكم تمثل دائماً الدولة .. والمنظمات الثورية تمثل دائماً الشعب . وأخطر ما يمكن أن تتورط به الحركات الشعبية هو الحكم ، لانها إذا ما استوعبت في أجهزة الحكم ابتعدت عن الشعب وأصبحت سلطة مستغلة ظالمة . فجهاز الحكم دائماً يمثل الركود والانتهاز والثورة تمثل الحركة والفداء . وعندما تنتصر الثورات تلغي أجهزة كاملة لتفسح المجال أمام أجهزة جديدة أكثر مقدرة على الحركة ، وأكثر التزاماً بأهداف الشعب . ولكن الثورة في مصر عجزت عن تحقيق هذه الغاية للأسباب التالية :

أولاً ـ لأن الثورة بدأت في وسط عسكري محدود، وكانت

لا تملك اطارات مدنية وعسكرية كافية للحلول محل الإطارات السابقة .

ثانياً ـ ولدت الثورة بوعي محدود ، وكانت ثورة بورجوازية في البدء ، تنحصر شعاراتها في اقامة حكم ديمقراطي وطني والتحرر من الاستعمار والاحتكار والإقطاع ، ولم يتضح اتجاهها الاشتراكي الا خلال الوحدة . والثورة البرجوازية عادة لا تهتم كثيراً بمشكلة أجهزة الدولة ، ذلك انها تعالج القضية بتطهير هذه الاجهزة فحسب ، واضافة برجوازيين جدد اليها .

ثالثاً ـ اضطرت قيادة الثورة لعدم وجود المنظمة الثورية الى الاعتماد على جهاز الحكم ، وقد طعمته بالعناصر النظيفة والخيرة وابعدت بعض المشبوهين والعملاء . ونتيجة لعدم وجود المنظمة الشعبية وغياب الاحزاب البرجوازية ، والقضاء على الاقطاع ورأس المال أصبح جهاز الحكم هو السلطة غير المنازعة.

ولقد شكا جمال عبد الناصر مراراً من عجز الجهاز الحكومي ، وتكلم مراراً عن ضرورة وجود رقابة شعبية عليه واتخذ عدداً من الإجراءات لبعث الحيوية فيه ... الا ان مشكلته لا تحل الا بقيام التنظيم الثوري ونضجه .

وحزب البعث منظمة شعبية ، وهو مثل كل منظمة شعبية، يخشى اجهزة الدولة التي لا تخضع للرقابة الشعبية، ولا ترتبط بالمنظمات الشعبية.. من حق حزب البعث ان يخاف اجهزة الحكم في مصر، ويجب ان يعي عبد الناصر أسباب هذا الخوف...فهي هي نفسها التي تدعوه للاصرار على ضرورة وجود الرقابة الشعبية على اجهزة

الدولة . ويجب ان ينمي حزب البعث وكذلك عبد الناصر هذا الخوف من أجهزة الدولة .. لأن أجهزة الدولة هي مشكلة كل ثورة . ومثل هذا الخوف ـ اذا لم يصبح «عقدة» أو انفعالاً أو هوساً ـ هو الذي يجعل عدم قيام بيروقراطية ممكناً .

ولكن كيف نتغلب على أسباب الفرقة هذه التي تقف في سبيل قيام الحركة العربية الموحدة ؟..

يجب أن نعترف أولاً بأن الرحلة طويلة وشاقة، وانها تتطلب الكثير من الوعي والصبر . ذلك ان قيام حركة قومية عربية موحدة ، هو اكبر المعضلات التي تواجه الأمة العربية في تاريخها الحديث ، فقيام الحركة الموحدة هو ضمان قيام الوحدة وتحقيق التحرر وبناء المجتمع الاشتراكي .

إن قيام الحركة العربية الموحدة يبدأ من :

أولاً ـ التعاون الفعال بين الحركات السياسية ، حاكمة وغير حاكمة في الوطن العربي . وهذا التعاون الذي لا يقوم على أساس الاندماج الفوري بين المنظمات الشعبية العربية هو الذي يجعل هذه المنظمات قادرة على الانفتاح والتفاعل . ولقد كان الخطأ في محادثات القاهرة انها ارادت ان تستعجل وحدة الحركات الشعبية قبل حلول الأوان ، وكان عبد الناصر مخطئاً عندما أراد ان يحقق وحدة القيادة السياسية قبل ان يحقق ظروف الانفتاح والتفاعل . ان شعار وحدة الهدف ... هو شعار هذه المرحلة فلنعد اليه قبل ان نضرب في التيه بعيداً .

ثانياً ـ تشكيل مؤتمر دائم من ممثلي المنظمات الشعبية يبحث

موضوع قيام الحركة العربية الواحدة من خلال دراسة تجاربها ، لا من خلال أحداث سياسية عابرة كما حدث في محادثات القاهرة. ان وظيفة المؤتمر هي ان يدرس هذه التجارب ، نواحي اتفاقها ونواحي اختلافها ، جذورها الاجتماعية واهدافها السياسية ، وايدولوجيتها وتنظيمها. كما ان وظيفة المؤتمر وضع ميثاق للعمل في الوطن العربي . وهو يختلف عن مؤتمر القاهرة في ان مؤتمر القاهرة :

أ ـ كان منعقداً تحت ضغط ظروف سياسية محمومة ، وهي افتعال الإلحاح الجماهيري على قيام وحدة فورية ، وصراع الحركات السياسية في سوريا والعراق من أجل الاستئثار بالحكم.. وتخوف القاهرة من تحالف بعثي عراقي ـ سوري .

ب ـ كان يستهدف الوصول السريع الى اعلان الوحدة بين الدول العربية المتحررة .

جـ ـ كان البحث فيه ينصب على النواحي السياسية اكثر من غيرها ، وقد احتل العتاب فيه مكاناً كبيراً .

د ـ اشترك في محادثات القاهرة رسميون ، عسكريون ومدنيون ، ليس لديهم من الوعي الكافي ما يجعلهم قادرين على مناقشة قضايا مثل قضايا الثورة والوحدة والاشتراكية والعمل الثوري الموحد .

ثالثاً ـ يجب أن تشترك ثورة الجزائر والاتحاد المغربي للشغل والحزب الاشتراكي في عدن اشتراكاً فعالاً ... لما يمكن ان يعطيه اشتراك هذه المنظمات من قوة وفعالية للمؤتمر ، ولأن

اشتراكها هو الوسيلة الوحيدة لربط نضال المغرب العربي بنضال المشرق .

وكان عدم اشتراك هذه المنظمات الفعال من نقائص محادثات القاهرة ومن أسباب فشلها .

رابعاً ـ التفكير من خلال محاولة وعي الظروف الموضوعية للأمة العربية لا من خلال « العُقَد » ، ذلك ان العقد تحول بين الثوريين والرؤية الصافية ، وتعطل وعيهم ، وتمنعهم من سرعة الحركة التي لا تكون الثورات بدونها ، لأنها تجعلهم اسرى « انفعالات » وأوهام .

ونوجز فيما يلي أهم المسائل التي نعتقد بأن المؤتمر مطالب بدراستها .. وهذه المسائل هي :

١ ـ مسألة الحزب .

٢ ـ مسألة الحكم .

٣ ـ مسألة النظرية الثورية .

مسألة الحزب

الثورة هي العنف المنظم الذي يستهدف اهدافاً اجتماعية تنقل المجتمع من طور إلى طور . وثورتنا العربية مطالبة بتحويل المجتمع العربي ، من مجتمع شبه اقطاعي شبه مستعمر ، الى مجتمع اشتراكي متحرر ـ فكيف يتحقق ذلك ؟

بالنضال الجماهيري المسلح طبعاً . ولكن النضال الجماهيري المسلح ذو الأهداف البعيدة المدى هو النضال الذي يضم أوسع الجماهير تحت قيادة حزب ... طليعة . الثورة إذن تتحقق بالحزب ، وبمقدار ما يكون الحزب أعمق فكراً ، وأدق تنظيماً يكون تحقيق أهداف الثورة ممكناً . لا ثورة بدون حزب . وكل الثورات التي قامت بدون أحزاب كانت ارهاصات ثورية . وهذه ثورة ٢٣ تموز كثورة الجزائر تصر على ضرورة وجود التنظيم الشعبي وعلى ضرورة وجود الجهاز السياسي الذي يقوده. الحزب قلة ولكنه ليس قلة إقطاعية أو رأسمالية تمثل مصالح محدودة ، انه يمثل ـ عندما يكون اشتراكياً ـ مصالح أوسع

الجماهير ... وهو بالتالي المهيأ لقيادتها ، لا ليفرض سلطانه عليها ، بل ليوجه طاقتها ويفجر امكانياتها محققاً حكمها ومصالحها .

فالحزب في الثورة هو الأصل ، لأنه الطليعة الواعية المقاتلة التي تنمو في عهود النضال ضد الطغيان . وهو الوحيد القادر على تحقيق ثورة اجتماعية شاملة لوعيه وتماسكه وثوريته . أما الانقلابات العسكرية كثورة مصر ، والثورات الاستقلالية كثورة الجزائر فهي تحدث هزات في المجتمع تُهيىء هذا المجتمع للثورة . وقد تتعمق هذه الانقلابات أو الثورات كما حدث في مصر وكما حدث في الجزائر ... ولكن عمقها يتجه بها الى التنظيم ... الى الحزب . في الثورة الشاملة الحزب هو الأساس وما عداه من التجمعات هو الاستثناء . وحزب الجماهير حزب واحد لان مصلحة الجماهير واحدة ، فإذا ما تكونت خلال عهود النضال ولأسباب سياسية ، كما هي الحال في الوطن العربي ، قيادات مختلفة ، كان واجباً عليها أن تتعاون فتتفاعل فتندمج ... لتحقق وحدة القيادة الشعبية .

إن النضال السياسي من خلال الحزب هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الثورة ولحمايتها ... إن أوسع الجماهير في اختلاطهم وعفويتهم وانصرافهم لمشاغل الحياة اليومية ، ولا مبالاة الاكثرية منهم والتصاقهم بالواقع غير قادرين على تحقيق الثورة وحمايتها .. وإلا لما كانت حاجة لقيام الأحزاب الثورية . فالحزب الثوري يقوم ليقود الجماهير ، وهو يقوم لأن الجماهير بما هي عليه ، غير

قادرة على إحداث التغير الجذري المنشود .

من خلال هذا كله ، يجب أن يكون واضحاً في مصر وفي اليمن ان محاربة الحزبية ، على انها تمثل تسلط القلة خطأ ؛ وان اتجاهات من هذا النوع غير ثورية . فليس هنالك تناقض بين وجود الحزب والجماهير اذا كان الحزب ثورياً . والحزب هو وحده الذي يستطيع أن يستقطب الجماهير ، هو أقدر من الفرد والفئة مهما كانت ثورية الفرد ، ومهما كانت ثورية الفئة . وعندما يهاجم عبد الناصر الحزبية ، ويصر على ضرورة وجود جهاز سياسي داخل الاتحاد الاشتراكي يوجهه ويقوده، يقع في تناقض. فإذا ما حاولنا كسب الجماهير متظاهرين أمامها برفض تسلط القلة ، ورطنا أنفسنا في مغالطة ، لأن الجماهير لا تحكم نفسها حتى الآن فمن يحكمها إذن ؟..

ليس عاراً أن تقود الجماهير طلائعها ...

وليس عاراً على الثورة في مصر أن تكون بدأت انقلاباً ، ودون حزب .

وليس امتيازاً لحزب البعث أن يكون حزباً ...

ولكن هذا كله يجب ألا ينسينا الحقيقة الموضوعية الواضحة وهي أن الحزب الثوري هو أداة الثورة ... وان الثورة الشاملة لا تتحقق بلا حزب . وان التجارب التنظيمية في الوطن العربي يجب أن تكتمل لكي تتحقق الثورة العربية الشاملة .

مسألة الحكم

إن حزب الثورة هو الذي يجب أن يحكم ، وهو يحكم حكماً ثورياً يستمد قوته من المجالس الشعبية، لا من الانتخابات البرلمانية والاستفتاءات الموسمية . فالمجالس الشعبية في القرى والأرياف هي السلطة ، وهي نقيض الدولة التقليدية. المجالس الشعبية تمثل الشعب العامل ، وبذلك نقضي على إمكانية وجود السياسي المحترف والمدني الديواني[1] . والمجالس الشعبية هي التي تجعل السلطة شعبية لأنها تقضي على أجهزة الدولة المنفصلة عن الجماهير ، المتسلطة عليها.

فإذا لم يكن حزب الثورة موجوداً وقعت مسؤولية الحكم على القيادات التقدمية ، كما هو حادث الآن في البلدان العربية المتحررة . فما هو واجب هذه القيادات ؟

إن واجبها هو :

---

١ ــ البرجوازي البيروقراطي .

أولاً – ان توجـــد الجبهة الثورية على المستوى الاقليمي . وتكون الجبهة بقيام تحالف سياسي ، يعرف كل مساهم فيـــه دوره ، فإذا استحال الاتفاق كان واجب المنظمة الاقوى ان تمنع البلبلة السياسية بالاستيلاء على السلطة ودفع الحكم في طريق الثورة ، على ان يظل باب التعاون مفتوحـــاً ، حتى ولو لطخ العلاقات الدم... فالثورة حركة مستمرة، ووعي دائم للتحولات واقتناص حاذق للفرص دون تجاوز المبادىء .

ومن وجهة النظر هذه يكون استيلاء حزب البعث على الحكم في دمشق مبرراً ومقبولاً . ولكن حزب البعث يجب الا يقف هنا ... يجب ان يترك الباب مفتوحاً أمـــام الفئات الأخرى ، حتى « المتآمرة» ، لتعود الى الجبهة ، ولتقوم بالدور المؤهلة له.

ثانياً – أن توحد الجبهة الثورية على المستوى القومي عـــن طريق التعاون فالتفاعل فالاندماج .

ثالثاً – يجب ان تعرف هذه القيادات حـــدود مسؤولياتها فهي مطالبة بما يلي :

١ – مقاومة الرجعية والاستعمار والصهيونية .

٢ – تحريك الجماهير وتنظيمها وقيادتها .

٣ – خلق الحركة العربية الثورية الشاملة فكراً وتنظيماً .

فإذا ما عجزت عن تحقيق هدف من هذه الاهداف ، كلهـا أو بعضها ، فشلت في ان تتحول من قيادات وطنية الى قيـادة ثورية ، واوجدت التناقضات الاجتماعية التي لا بد من ان تقضي عليها .

والقيادات عندما تحكم يجب ان تعير جهـــاز الحكم اهتماماً كبيراً . فجهاز الحكم هو نتاج الوضع القائم . ولذلـــك فجهاز الحكم الذي خدم الرأسمالية لا يستطيع ان يحقق الاشتراكية . فإذا ما حاول جهاز حـــكم ان يتظاهر بمثل هذا كان تظاهره احتيالاً على الثورة في محاولة لضربها من الداخـــل . القيادات الجديدة بحاجة لأجهزة جديدة حتى لا تخذل قضيتهـا ، وحتى لا تجد نفسها متورطة في علاقـــة حميمة مع البرجوازية المستغلة للشعب .

ان مسألة الحكم من أكثر المسائل التي تجابه القيادات الجديدة تعقيداً ... وهي أكبر امتحان لها .

ويجب ان تنزع القيادات من الأذهان أحلام مرحلة النضال الاستقلالي في الديمقراطية والبرلمانية والنظام الرئاسي وما شابه ذلك ، لأن هذه الاحلام لا تنسجم مع متطلبات المرحلة ، ولا تتفق مع الغايات الثورية الاشتراكية . إن المؤسسات البرجوازية لا يمكن ان تنفصل عن ظروفها ، وعن ايدولوجيتها . ولذلك فمن غير المنطقي استعمالها في تجربة اشتراكية كما انه من غـــير المنطقي استعمال حدوة الحصان للنعامة .

إن نظام الحكم يجب ان ينبثق من التجربة الثورية ذاتها ... ويجب ان يستهدف الحرية كل الحرية للجماهير ... بالغاء الشكل التقليدي للدولة والاعتماد على المجالس الشعبية .

النظرية الثورية

النظرية الثورية هي محتوى الثورة، هي أهدافها وأساليبها ، ولا ثورة بلا نظرية ثورية ، كما أنه لا ثورة بلا حزب . لأن النظرية الثورية هي ضمان استمرار التفكير الثوري ، كما أن الحزب هو ضمان استمرار العمل الثوري . بلا نظرية يكون العمل الثوري « اندفاعات » وهذا ما تجابهه الثورة العربية اليوم ، ذلك ان القيادات الوطنية ، نشأت دون نظريات . فلقد بدأ حزب البعث العربي الاشتراكي بشعارات دون نظرية ، وبدأت ثورة مصر بشعارات دون نظرية ، وهكذا بدأت حركة القوميين العرب « وثورة الجزائر » أيضاً . وخلال المعركة كانت هذه القيادات تسعى للوصول الى نظرية في العمل ، ولكن سعيها كان بطيئاً ... فحزب البعث العربي الاشتراكي لم يقدم شيئاً يذكر بعد أكثر من عشرين عاماً من قيامه . وثورة مصر احتاجت الى عشر سنوات حتى تقدم « الميثاق » . ولقد جاء الميثاق نتاج تجربة اقليمية (مرحلية) ، فأعوزه شمول الوعي

الثوري العميق ونفـــاذه ، وعليه فالمؤتمر مطالب ببحث مسألة النظرية وهي تتضمن ما يلي :

اولاً ـ المبادىء :

١ ـ الثورة هي العنف المنظم ... انها حشد قوى الجمـاهير الثورية لمعركة حاسمة مع القوى المعادية .

٢ ـ الثورة هي ارادة التغيير العميق الذي يستهدف انقـلاباً اجتماعياً سياسياً اقتصادياً شاملاً .

٣ ـ الثورة هي الاحساس بـــأهمية الزمن والاستفادة منـه استفادة تامة وغير عادية .

٤ ـ الثورة هي المواجهة التي لا بد منها لتحقيق أهـــداف الجماهير .

٥ ـ الثورة هي وعي حركة التـاريخ وادراك وجهة سيرها من خلال الظروف المرحلية المعقدة . وهذه المبـــادىء تجعلنا نقرر ـ

أولاً ـ أن الحركات الوطنية في الوطن العربي كانت مجرد « ارهاصات » .

ثانياً ـ ان الثورة تتحقق بقوة الجماهير المنظمة .

ثالثاً ـ ان وعي حركة التاريخ لا تتحقق الثورة بدونه ، لأن الثورة هي انضاج لحركة التاريخ ، ودفع لها في الاتجاه الذي هيأتها له ظروفها .

ولقـــد كانت الحركات الوطنية في الوطن العربي بعيدة عن وعي هذه الحركة ، ولذلك كانت « انفعالية » ، محدودة الأهداف

ومحدودة الفعالية .

وتصاب الثورة بالشلل اذا مـــا عممنا قـيم المرحلة عليها ، كالطفل الذي نظل نناغيه حتى يبلغ العشرين . فالمرحلة يجب ألا تستوعب الثورة ، بـل إن على الثورة ان تستوعب المرحلة .

وتظل القيادات تدور في حلقة المرحلة ما دامت « مدنية » وبـلا نظرية ... وتكون في هذه الحـــالة انفعالية ومترددة واصلاحية .

والجمـاهير الثورية في وطننا هي الفلاحون والعمال ... انها ليست « المِـدِن »[1] . ذلك ان جماهير الفلاحين والعمال هم وحدهم القادرون على رفع لواء الثورة ... انهم الأكثرية الكادحة التي يوحدها الفقر والظلم والاستغلال ازاء الاستعماري والاقطاعي والبرجوازي . ومطالب هذه الجمـــاهير محسوسة وملحة ، انها تنحصر في الخبز والأرض والكرامة ... الجماهير الثورية لا ترفع شعارات خادعة كالحق والعدل والمساواة كما تفعل البرجوازية لتحقق الظلم والتمايز والاستغلال . فاذا ما سمينا الفلاحين والعمال بالجمـاهير الثورية ، جردنا « المِـدِن » من الدور الطليعي الذي تدعيه . ذلك أنه دور انتهازي تتحقق فيه سيادة الاقلية المدنية على الريف والأزقة الشعبية من المدينـة لمصلحة هذه الأقلية وعملائها من الرأسماليين العالميين .

---

١ ـــ المدن بكسر الميم والدال هي الكلمة التي يستعملها بعض الريفيين ، وهي تقابل كلمة « برجوازية » .

الا أننا نلاحظ ان الحركات الوطنية في الوطن العربي ما زالت مدنية في عناصرها وأفكارها ... ان الفلاحين والعمال ليسوا الا مؤيدين لتقدم يتحقق ... انهم ليسوا بعد القوى الرئيسية في حزب البعث العربي الاشتراكي ... وليسوا بعد القوى الرئيسية في حركة الثورة بمصر ... فالقوى الرئيسية والقائدة مدنية .. وهي تصر على أن تظل قوى رئيسية وقائدة و « مدنية » .

وهناك عاملان يبعدان الفلاح والعامل عن ميدان المعركة هما :

أولاً ـ نضال «المِدِن» نضال جزئي يستهدف مصالح اقلية مدنية وهو يعتمد على المظاهرة والاضراب وغيرها من وسائل النضال المدني .

ثانياً ـ الجماهير الثورية تؤمن بالعنف والثورة ... ولا ترى في المظاهرة والاضراب والمنشور والخطاب وسائل ناجعة لتهديم نظام بأكمله ... للحصول على الخبز والارض والكرامة .

وبدخول الجماهير الثورية ميدان المعركة يكون ممكناً تحقيق الانقلاب الجذري في بنيان المجتمع الاقتصادي والسياسي. وهذا الانقلاب لا يتحقق الا عندما تملك طلائع الجماهير الثورية تصوراً كلياً لقضية الشعب ... قضية حياته وحريته ، يجعلها قادرة على وعي حركة التاريخ وتوجيهها . والا ألهتها المعارك اليومية عن المعركة الحقيقية ... إن الحركات الوطنية التي لا تملك هذا التصور هي بالضرورة عاجزة عن اداء مهمة تاريخية ... لأنها

تشل اندفاع الجماهير الثورية بعجزها عن قيادتها ولأنها تقع في تناقضات مع حركة التاريخ ومع أهدافها . وإذا كانت التجربة تعني هذا التصور الكلي ، فإن التجربة بلا تصور كلي انما هي « تخبط » لا جدوى منه .

ونظرية الثورة ليست دراسة مدرسية لاصل الكون والانسان ، إنها دراسة لفلسفة التحولات التاريخية ، وتحديد موقف حازم منسجم معها يحقق مصالح الجماهير . وهي لا تصاغ بدراسة النظريات والنظم واستخلاص خير ما فيها ، أو استحسان بعض ما فيها بل بدراسة تجارب جماهيرنا في الحياة والثورة . وعلى ضوء هذه الدراسة من الممكن الاستفادة من التراث الثوري العالمي .

إن صياغة نظرية الثورة يبدأ مما يلي :

أولاً ـ التحليل العلمي الموضوعي للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي . وتحديد دور كل طبقة من الطبقات الاجتماعية فيه .

ثانياً ـ دراسة تاريخنا دراسة موضوعية للكشف عن الثروات الثورية فيه .

إن التحليل الموضوعي لاوضاعنا يجعلنا نقرر أن الفلاحين في بلادنا هم قاعدة الثورة تسندهم جماهير الكادحين في أزقة المدينة وشباب البرجوازية الصغيرة . وبينما تكون جماهير الفلاحين والكادحين هي الاكثر فقراً ، والاكثر شعوراً بالظلم والاضطهاد يكون شباب البرجوازية الصغيرة هم الاكثر شعوراً بالذلة

والهوان . ولكن عناصر البرجوازية الصغيرة ، أقل صلابة وتماسكاً ، وأسرع الى الانهيار ، وأقرب الى التعب والملل من العناصر الفلاحية والكادحة ، وذلك بسبب تكوينها الفردي ، ورفاهيتها النسبية .

وجماهير الفلاحين والكادحين ليسوا الاكثرية الساحقة فحسب ، بل الاكثرية التي لا يكون تحول تاريخي بدونها . ذلك ان بقايا الإقطاع وطلائع الرأسمالية وحلفاءهما من وجاهات الريف والمدينة مرتبطة بالاستعمار ارتباط مصلحة ومصير ، ولهذا فهي غير قادرة على تحقيق استقلال قومي حقيقي ، بله ثورة اشتراكية .

وما دام الامر كذلك فالثورة يجب أن تستهدف تحويل المجتمع شبه الإقطاعي شبه المستعمر الى مجتمع اشتراكي فوراً دون حاجة للمرور بالمرحلة البرجوازية ، ودون حاجة لمعونة الرأسمالية الوطنية . ويتحقق ذلك بمصادرة وسائل الإنتاج وجعلها ملكية عامة ، وتحقيق الإدارة الاشتراكية فيها ، وضمان التوزيع الاشتراكي لإنتاجها . ولن تتم ثورة دون ذلك . ويجب أن يعني انتصار الثورة في قرية أو محافظة أو قطر أو أكثر تحقيق هذه المبادىء . وهذا ما يتم في مصر والجزائر ببطء وبشكل جزئي ، وبطريقة ترتبط بالقيادة أكثر مما ترتبط بالجماهير ... أما في سوريا والعراق فلم يبدأ تطبيقه بعد .

نظرية الثورة والوحدة العربية

إن الوحدة العربية ليست وحدة من ذلك الطراز الذي عرفه القرن التاسع عشر . انها ليست إزالة للجمارك ، ورفعاً للحدود التي تقف في سبيل التجارة ... والوحدة العربية ليست تستهدف إنشاء سوق واسعة لصناعة ناشئة .

لقد انتهى هذا المفهوم للوحدة بانتقال القيادة من أيدي الإقطاع ووجاهات الريف والمدينة الى أيدي جماهير الفلاحين والكادحين وشباب البرجوازية الصغيرة . ويشكل هذا الانتقال مفهوماً جديداً للوحدة ينطلق من اعتبارها وحدة جماهيرية تستهدف تحقيق مصالح الجماهير العربية بتوحيد نضالها وتوحيد إمكانياتها .

ولكن كيف تتحقق هذه الوحدة ...

لقد كان الملوك والامراء في الماضي يعتبرون ان الوحدة تتم بتفاهمهم وبقاء دويلاتهم .

وجاء حزب البعث العربي الاشتراكي فربط شعار الوحدة بشعار التحرر من الرجعية والاستعمار ولكن حزب البعث لم يحدد

طريقة لتحقيق الوحدة .

وعندما تحققت وحدة مصر وسوريا رفعت الجمهورية العربية المتحدة شعار الوحدة ، ولكن من خلال الاجماع الشعبي ... ولم يغير الميثاق من هذا المفهوم شيئاً .

فهل معنى الوحدة أن ننتظر حتى يتحرر قطر وقطر ويتفاهما ؟...

وهل معنى الوحدة أن تتماثل ظروف قطر وقطر ليتحدا ؟

بالطبع لا ...

إن الوحدة ثورة ... وهي عندما تبدأ في قرية يجب ان تمتد متجاوزة كل حد ... إن ثورة الجزائر مثلاً تتحول لثورة قطرية عندما توقف فعالياتها على الحدود التي خططها المستعمرون .. وثورة اليمن تخون قضيتها عندما توقف زحفها على حدود عدن والمحميات والمملكة العربية السعودية .. إن زحف الثورة يجب ان يستمر محققاً وحدة العمل الثوري ، ووحدة الجماهير التي جعل الاستعمار والاقطاع منها دولاً وجنسيات هكذا ...

وهكذا فقط تتوحد القيادات وتتحقق الوحدة ...

الحركة العربية والماركسية واللينينية

تورطت المنظمات القوميـــة ذات التكوين البرجوازي في مواقف معادية للماركسية أملتها عليها طبيعتها . ولقد هوجمت الشيوعية على أنها إلحاديـة ، وأنها تتنكر للروحانيات وتقضي على الملك والارث الى غير ذلك .

ونوقشت الماركسية بمنطق كاوتسكي وحججه .

واستهدف الهجوم في أحيان كثيرة نظام الحكم في الاتحـاد السوفياتي ذاته ...

فما هو الموقف الصحيح من الماركسية والشيوعية؟.. ان المؤتمر مطالب بصياغـة اجابة شاملة منسجمة مـــع أهداف الثورة العربية .. ونرى ان هذه الاجابة يجب ان تنطلق مما يلي :

أولاً ـ يجب ألا يحكم على الماركسية ـ اللينينية وعلى الاتحاد السوفياتي من خلال انحراف الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي، ومن خلال اخطاء السياسة السوفياتية[1] كما أن معيار الحكم على

---

١ ـ أخطأت الاحزاب الشيوعية في مواقفها من قضية الوحدة العربية=

الماركسية اللينينية والاتحاد السوفياتي يجب ان يكون برجوازياً.

ثانياً ـ بمقدار ما تتقدم الحركة العربية في طريق الاشتراكية تجـــد نفسها اقرب الى الماركسيـــة والاتحاد السوفياتي ... فليس هنالك تناقض بين الحركة العربية والشيوعية على المدى البعيد على الرغم من الخلافات التي تنشأ حالياً لسببين :

الأول ـ صراع الحركة العربية مع الشيوعية المحلية وعـدم فهم الاتحاد السوفياتي لطبيعة هذا الصراع .

الثاني ـ معاداة الحركة العربية الشيوعيـــة بسبب سيطرة الأفكار البرجوازية عليها .

ثالثاً ـ ان الماركسية اللينينية هي أكبر مدرسة ثورية في التاريخ ، كما ان تجربة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية هي أوسع وأعمق تجربة اشتراكية . ولهذا فدراسة الفكر الماركسي ودراسة التجربة السوفياتية والتجارب الاشتراكية الأخرى هام وضروري لإغناء التجربة العربية ولتوثيق العلاقة بينها وبين الثورات الأخرى في معركة النضال ضد الرأسمالية العالمية في سبيل حرية الانسان . ويجب ان تقاوم الأفكار السطحية التي تروّج دائماً بأن العلاقة بين الحركة العربية والاتحاد السوفياتي وغيره من الدول الاشتراكية هي علاقه سياسية، تقوم على أساس

=وقضية فلسطين ، وجر انزلاقها الاتحاد السوفياتي إلى الاصطدام بالحركة القومية، وكان هذا الاصطدام من أسباب عزلة الشيوعية المحلية وانغلاق الشباب الوطني عن الماركسية ـ اللينينية .

تبادل المصالح فقط وانها علاقة لا تتعدى هذا التبادل المصلحي ولا تختلف في طبيعتها عن علاقتنا بأية دولة أخرى تعاملنا معاملة الند للند . فنحن والشعوب الاشتراكية نخوض معاً معركة الحرية ضد الاستعمار والرأسمالية وكل عوامل القهر والاضطهاد . وهدف هذه المعركة ليس تحرير الانسان فحسب بل ايجاد الظروف الملائمة للقضاء على التناقضات بين الأمم وقيام تعاون فعال بينها يستهدف مصالحها جميعاً .

خاتمة

ان قيام الحركة العربية الثورية الموحدة ضرورة تاريخية تستلزم وجودها المرحلة ، وتوجب قيامها وحدة الأمة العربية ، ووحدة نضالها ضد الرجعية والاستعمار والصهيونية ...

فهرست

مقدمة	٥
تمهيد	٧
في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة	٩
مسألة الحزب	٢١
مسألة الحكم	٢٤
النظرية الثورية	٢٧
نظرية الثورة والوحدة العربية	٣٣
الحركة العربية والماركسية واللينينية	٣٥
خاتمة	٣٨
فهرست	٣٩

صدر للمؤلف :

- الثوري العربي المعاصر
- الثورة ... والجماهير
- في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة

منشورات دار الطليعة - بيروت

هذه المحاولة

● هـــذه المحاولة تلقي ضوءاً على اسباب الاختلاف بين المنظمات العربية الوطنية، كما أنهـا تبين المبررات الموضوعية لقيام جبهة قومية ونواحي الاتفاق المبدئية التي تصلح لعضوية هذه الجبهة.

● وهي تعتبر ان قيام الحركة العربية الثورية الشـاملة ضرورة من ضرورات النضال من اجل البقاء وهي تتحقق عن طريق قيام الجبهة القومية التي تمهد لقيام الحركة العربية الثورية الشـــاملة.

● ويرى المؤلف ان الخلافـات الحالية بكل حدتها لا تبرر الصراع المستميت بين المنظمات القومية ولا تقتضي عداء لا لقـاء بعده.. ما دامت القضية قضية مصير... وما دامت التناقضات التاريخية ـ اجتماعية وسيـاسية واقتصادية ـ غير موجودة.

منشورات دار الطليعة - بيروت